السياحة
فن.. وذوق.. وأخلاق!

بقلم وريشة : محمود مصطفى

التنوير

فن السياحة تطور فى السنوات الأخيرة تطورا يدعو إلى الدراسة والاهتمام حيث استطاعت دول أن تقفز إلى الصفوف الأولى فى هذا المضمار..

ولا شك فى أن كل دولة لديها ما تعرضه لجذب السياح إليها سواء كان ما تعرضه هذا آثارا قديمة.. أو فنونا حديثة أو غيره.. إلا أن ما تعرضه الدول يحتاج إلى كثير من الذوق فى طريقة العرض بحيث يبدو شائقا جذابا.. ثم يأتى بعد ذلك الجانب الأخلاقى وهو طريقة معاملة السائح الذى جاء ليشترى الفرجة على ذلك الفن المعروض فى قالب من الذوق الجمالى..

.. ومن الدول التى قفزت قفزات كبيرة إلى الصفوف الأولى فى هذا المجال.. بل إنها الآن من أوائل الدول السياحية.. اليونان..!

.. واليونان لديها الكثير من الآثار الإغريقية يتوجها معبد الأكروبوليس (٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد) الذى يقع فى مدينة أثينا نفسها.. وبالرغم من ذلك فإنها تبيع لك الهدوء والجمال، وذلك فى الجزر العديدة المنتشرة بالأراضى اليونانية. ولذلك كثرت مكاتب السياحة هناك. بل إنك تكاد تجد فى كل فندق مسئولا عن السياحة يقدم لك برامج متعددة لزيارة تلك الجزر. والسياحة الداخلية والخارجية وذلك مقابل أجور زهيدة جدا فى مقابل السفر والإقامة الكاملة بين هذه الجزر بالعبّارات البحرية. أما إذا حاولت الخروج عن برامج هذه الشركات السياحية أو أردت عمل برنامج خاص بك فسوف يكلفك هذا الكثير.. وأذكر أننى منذ عامين قد ضيعت يوما كاملا بصحبة أحد الأصدقاء لنبحث له عن سرير يقضى فيه ليلة واحدة فى جزيرة كورفو وأذكر أننا فى آخر النهار وبعد أن كلّت أقدامنا عثرنا له على سرير فى عنبر يؤجر فى الموسم السياحى كفندق وأنه دفع ما يساوى عشرين جنيها مقابل هذا السرير لليلة واحدة حيث غادر اليونان فى اليوم التالى مباشرة إلى يوغوسلافيا..

.. وفى أثينا العاصمة يوجد قطاع خاص بالسياحة بأكمله ويعرفه السياح جيدا.. هذا القطاع هو الحى الملقب باسم «بلاكا» والذى يقع فى الشمال الشرق للمعبد الشهير أكروبوليس. وكان يعرف حتى مطلع هذا القرن باسم على كوكو نسبة إلى عائلة على كوكو التى استقرت هناك أثناء القرن الثالث عشر..

.. وبلاكا ينقسم اليوم إلى ثلاثة أقسام..

القسم الأول يشمل الحى التجارى وبه المحلات التى تبيع الأشياء التذكارية تماما مثل محلات خان الخليلى بالقاهرة.. أما القسم الثانى فيضم الملاهى الليلية ومحلات الشراب والطعام. وهى متعددة. ولا أقول متجاورة. إنما تكاد تكون متلاصقة حتى انك تستطيع أن تجلس فى أحدها تتناول عشاءك مثلا بينما أنت تشاهد البرنامج الذى يعرضه الملهى المجاور أو الملهى المقابل..!

.. ثم القسم الثالث الذى ينتهى إلى المعبد ويشعر الزائر وهو فى هذا المكان أنه يمشى بين بيوت شديدة الخصوصية والشوارع ضيقة ذات طابع مميز هادئ جدا.. بل إن الناس أنفسهم من طراز مختلف..

فى هذا الحى يقضى السائح أياما وليالى لا ينساها بين الفن والذوق والخدمة اليونانية المشهورة والمشهود لها..

الموت فى فينيسيا..

هذا هو اسم التحفة السينمائية التى قدمها فسكونتى والتى قام ببطولتها الممثل الإنجليزى الأصل ديرك بوجارد الذى تفوق فيها على نفسه حتى فى دوره الخالد فى فيلم الخادم الذى نال عليه الأوسكار.. وفى هذا الفيلم يصور فسكونتى مدينة فينيسيا حين تجتاحها الكوليرا. وذلك فى مطلع هذا القرن حيث تدور أحداث الفيلم بين أزقة وحوارى المدينة القديمة وفوق كبارياها الصغيرة التى لم تتغير حتى الآن..

وقد رفع الإيطاليون الآن شعارا مشابها لاسم الفيلم من باب الدعاية السياحية. هذا الشعار هو.. أنقذوا فينيسيا من الغرق..!

فما هى الحكاية..؟ إنهم يقولون إن الحسابات الألكترونية أثبتت أن المدينة الجميلة تغرق كل عام بمقدار عدد معين من السنتيمترات وأنه فى خلال أعوام ستصبح المدينة أثرا بعد عين..!

وبالطبع صدق أغبياء العالم من هواة السياحة هذه الخدوتة وتدفق على فينيسيا عدد رهيب من السياح.. وغرقت المدينة فعلا. ولكن بأموال هؤلاء السياح وأصبح العثور على مكان للقضاء الليل أو غرفة فى فندق مثل العثور على إبرة فى كومة من القش وجلس السياح بالمئات فى الشوارع بلا مأوى وأمام محطة السكة الحديدية بأمتعتهم ليلقوا نظرة وداع على المدينة التى ضيعتهم قبل أن تضيع..!

ويبدو أن إيطاليا أصبحت اليوم من أكثر الدول الأوربية ارتفاعا فى الأسعار فخسرت بذلك ميزة كبرى كدولة سياحية هذا بالإضافة إلى ما يتأبها من قلق واضطراب سياسى مع ظاهرة كثرة العصابات الكبيرة والصغيرة على السواء..

ابتداء من المافيا والألوية الحمراء.. ونزولا إلى نشالى نابولى وسوق الحرامية بحنوه كما أن روما أصلا ليست مدينة سياحية وميلانو مدينة صناعة تجارية ولا تهم إلا رجال الصناعة والتجارة. أما فلورنسا فتجذب نوعا معينا من السياح الذين يهمهم أن يشاهدوا أعمال مايكل أنجلو فى الكنيسة السستينية ولذلك فلم يبق إلا فينيسيا المدينة ذات الطابع الفريد فى العالم كله فكان النداء من أجل انقاذها ذلك النداء الذى اخترعته شركات السياحة والإعلام السياحى بالتأكيد. وإن كان أثره سينتهى يوما ما. ولابد للإيطاليين أن يجدوا بدائل من أجل اللحاق بالصراع السياحى العالمى الذى قفزوا فيه خطوات إلى الخلف.. بينما تقدمت عليهم اليونان بخطوات كثيرة إلى الأمام لتسابق أسبانيا وغيرها من الدول السياحية الأخرى.